

## محاضرة : الشيخ الفضيل الورتلاني

ولد في 6 فيفري عام 1900 بقرية آنو بلدية بني ورتلان دائرة بني ورتلان ولاية سطيف<sup>1</sup>، وقد نشأ وترعرع في مسقط رأسه وبه حفظ القرآن الكريم، وزاول دراسته الابتدائية بنفس المكان، وتلقى فيها مبادئ العلوم على مشائخ القرية نذكر منهم العلامة الشيخ السعيد البهلولي ، كما تلقى منذ طفولته المبكرة في أحضان أسرته تربية إسلامية أورثته الحفاظ على تعاليم الدين الحنيف والتشبت بأهدافه، ونشأ الأخلاق الفاضلة، وجده الأعلى (جد والده) العلامة الرحالة الحسين الورتلاني صاحب الرحلة المعروفة باسم (رحلة الورتلاني) كان تحصيله العلمي والشّرعي في مسقط رأسه وعلى يد أقربائه الذين زقوا فيه العلم زقا، وتلقى عنهم مبادئ الفقه والأصول والتفسير والنحو والصرف والبلاغة و غيرها من المعارف الإسلامية<sup>2</sup>، ولما بلغ سنّ العشرين جُند للخدمة العسكرية الإجبارية واكتشف خلال ذلك ما كان يقاسيه الجزائريون من تمييز واحتقار من جانب الفرنسيين<sup>3</sup>، سنة 1928 ذهب إلى قسنطينة وتتلّمذ على يد رائد الإصلاح في الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس، سعى جاهدا أن يأخذ منه المعارف بأنواعها. وأصبح منذ سنة 1932 مساعداً له في التدريس، ومتجولاً لصالح مجلة الشهاب ومجلة البصائر ومرافقاً لابن باديس في بعض رحلاته.

### نشاطه في فرنسا:

ولما كان الشيخ عبد الحميد بن باديس منتبها إلى الضرورة القصوى للرعاية الروحية للمغتربين الجزائريين في فرنسا، فقد اختار تلميذه الورتلاني للقيام بهذه المهمة، حيث وصل باريس سنة 1936 ، وبدأ نشاطه في اتصالاته بالعمال والطلبة الجزائريين بفرنسا، وقام بتأسيس مراكز وفصولا لتعليم اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي، واستطاع خلال عامين أن يفتتح كثيراً من المجتمعات الثقافية في باريس وضواحيها وبعض المدن الفرنسية الأخرى. والتصل بالمتقنين العرب في الجامعات الفرنسية، ووثق علاقاته بهم، مثل محمد عبد الله دراز صاحب كتاب (دستور الأخلاق في القرآن الكريم)، والشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر فيما بعد ، والعلامة السوري محمد المبارك، والشاعر عمر بهاء الدين الأميري.

<sup>1</sup>الفضيل الورتلاني ، الجزائر الثائرة ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 م ، ص. 36

<sup>2</sup>محمد الصالح الصديق ، أعلام من المغرب العربي ، ج2 ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2007 م ، ص. 604

<sup>3</sup> سعيد بورنان ، شخصيات بارزة في كفا الجزائر 1830 من 1962 م ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2004 م ، ص. 19

وقد أقلق هذا النشاط السلطات الفرنسية ، فعملت على تضيق الخناق على الشيخ ، و بعثت برسائل تهديد بالقتل، وهو ما تم اقراره من طرف منظمة "اليد الحمراء" الإرهابية التي حاولت قتله ،مما اضطره إلى الفرار نحو إيطاليا بمساعدة الأمير شكيب أرسلان الذي سهل له عملية الفرار لينتقل فيما بعد إلى القاهرة 1940 .

### نشاطه في القاهرة

بوصوله إلى القاهرة ،انتسب إلى الأزهر فحصل على شهادته العالمية في كلية أصول الدين والشريعة الإسلامية مواصلاً جهاده القومي الوطني ، للتعريض بالاستعمار الفرنسي في الجزائر وخدمة القضية الجزائرية ، وقضايا المسلمين عموماً ، فأسس سنة 1942م للجنة العليا للدفاع عن الجزائر ،و أسس سنة 1944م جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا التي كان أمينها العام وتضم في عضويتها الشيخ محمد الخضر حسين وحفيد الأمير عبد القادر الجزائري والأمير عبد الكريم الخطابي المغربي. ثم مكتب جمعية العلماء المسلمين في القاهرة سنة 1948م ،وقد صار عضواً في تنظيم حركة الإخوان المسلمين وكانت تربطه صلة وثيقة بحسن البنا، ونظرًا لملاكاته الخطابية وقدرته على الإقناع، بل وصل درجة أنه كان ينوب عليه في إلقاء حديث الثلاثاء بالمركز العام لجماعة الإخوان.

### في اليمن :

امتد نشاط الورتلاني إلى مساندة الأحرار في اليمن، وكانت البلاد تموج بحركة معارضة قوية، ورغبة طموحة في الإصلاح والتغيير، وكان الإمام حسن البنا يتطلع لإخراج اليمن من فقرها وجهلها ،فأوفد الورتلاني 1947م ،حيث نجح في توحيد صفوف المعارضة ، وإزالة الخلاف بينهم، وبدأ في تهيئة الجو بخطبه الحماسية من أجل الثورة ،\_وفي فبراير 1948م نجحت المعارضة في الوصول إلى الحكم بعد إزاحة الإمام يحيى ، وتشكل مجلس للشورى، يتكون من60 عضواً من أبناء الأسرة الحاكمة في اليمن، كما اشترك فيه "الورتلاني ، لكن ملك السعودية رفض الاعتراف بالحركة، ووقف إلى جانب "أحمد بن الإمام يحيى" ولي العهد، واستطاع هذا الأخير أن يجمع حوله جيشاً قبلياً كبيراً ، وأن يهزم أنصار الحركة الثورية، دون مقاومة كبيرة، ولم يزد عمر الحركة عن بضعة وعشرين يوماً، وقد أعدم كثير من زعماء المعارضة، ونجح "الورتلاني" في الهرب من اليمن بعد أن صدر الحكم بإعدامه ، وتنتقل في عدة دول أوروبية، ورفضت الدول العربية استقباله حتى وافقت لبنان على استقباله، شريطة أن يكون الأمر سرًا.

## مساندته للثورة المصرية:

عاد الورتلاني إلى مصر بعد غياب دام 5 سنوات، وقد شجعتة على هذه العودة الظروف السياسية الجديدة القائمة في مصر بعد نجاح الضباط الأحرار وعلى رأسهم اللواء محمد نجيب في الإطاحة بنظام الملك فاروق. رحب به العلماء والسياسيون، واتصل مباشرة بقيادة النظام الجديد، حيث قدم خدماته للثورة في الخارج لفك العزلة عن مصر، لكن بعد انقلاب النظام الجديد على حركة الإخوان المسلمين في عام 1954، واعتقال رموزها وإعدام ستة منهم، غادر الورتلاني القاهرة في عام 1955 متوجهاً من جديد إلى بيروت .

## الفضيل الورتلاني والثورة التحريرية الجزائرية :

سافر الفضيل الورتلاني كثيراً في سبيل شرح القضية الجزائرية فزار معظم الدول الإسلامية، والتقى كثيراً من زعماء المسلمين مثل عبد الرحمن عزام أمين عام الجامعة العربية، الشيخ محمد الخضر حسين، الشيخ محمد عبد الله دراز، الشيخ مصطفى عبد الرازق، الأمير عبد الكريم الخطابي، المفتي محمد أمين الحسيني، وأحمد سوكارنو رئيس إندونيسيا الذي استقبله رسمياً في قصر الرئاسة في جاكرتا، وفي كل بلد نزل فيه خطب وحاضر حول القضية الجزائرية مدافعاً عن حق الشعب الجزائري في الحرية .

في 1 نوفمبر 1954م، انطلقت الثورة الجزائرية لتحرير البلاد من الاستعمار الفرنسي، وقد رحب الفضيل الورتلاني بهذه الثورة التي طالما انتظرها وسعى لقيامها. ونشر مقالاً في 3 نوفمبر أي بعد ثلاثة أيام فقط من اندلاع الثورة التحريرية تحت عنوان: "إلى الثائرين من أبناء الجزائر: اليوم حياة أو موت"، ثم أصبح ممثلاً لجبهة التحرير الوطني في تركيا في 1956 بعد أن انضمت جمعية العلماء رسمياً إلى الثورة وجبهة التحرير الوطني في أبريل 1956م.

قامت جمعية العلماء الجزائريين بجمع مقالات الفضيل الورتلاني في كتاب ضخم ونشرته في بيروت في عام 1963 تحت عنوان "الجزائر الثائرة". واحتوى الكتاب أيضاً على شهادات العلماء والسياسيين العرب في الإشادة بذكوره والتنويه بجهاده.

وخلاصة القول أن المرحوم الشيخ الفضيل الورتلاني يعتبر بحق من رواد الحركة الإصلاحية والنهضة الفكرية في العصر الحديث، فعظمته تتجلى في أنه صاحب رسالة آمن بيا وضحي من أجلها

منذ نعومة أظافره بكل غال ونفيس، فقد هيأته الظروف وتكوينه الثقافي المتين، لكي يتحدى الصعاب وظل كالطود الشامخ لا تهزه الأعاصير ولا النكبات ولا الدسائس والمؤامرات، فعاش مجاهداً بالقلم واللسان، وناضل طوال حياته دون ملل وبدون توقف، ونضاله الذي يتمثل خاصة في الدفاع عن شخصية الأمة الجزائرية بصفة خاصة والأمة الإسلامية بصفة عامة.

كان همه محاربة الجهل والامية والبدع والخرافات وكل أنواع الانحراف، وقد كانت المعركة شاملة واسعة النطاق، لأن جميع جوانب الإصلاح الاجتماعي كانت مستوعبة من محاربة المعتقدات البالية والضلالات والبدع إلى التربية الخلقية الإسلامية الصحيحة، والدعوة التي تسني ولا تتوقف إلى نمط جديد من الحياة، يتفق مع الإسلام باعتباره دين التجديد لقد كانت المعركة دائمة متواصلة، لأنها كانت متأنية إرادية ومطالبة حتى اليوم الذي جاء فيد دور السلاح.

وقد أصيب في أيام حياته الأخيرة بمرض عضال، وعندما تدهورت صحته واشتد به المرض سافر إلى تركيا للعلاج سنة 1958م. أجريت له عملية جراحية لم تنجح ووافته المنية في الثاني عشر من شهر مارس 1959م ودفن بتركيا، ثم أعيد رفاته إلى أرض الوطن في 12 مارس 1987 ودفن بمسقط رأسه بني ورتلان ولاية سطيف.